

الترجمات عن اليونانية

طبيعة العمران ، الرِيطَة والابنة ، علم الفلك
اروساب التي دعت الى الترجمة والرياضيات ، الفرق ، الشعبية ، حاجة الدين
الى الفلسفة ، تشجيع الخلفاء .

حنين بن اسحق ، حياته ، طريقة ترجمته ،
تلامذته ، مؤلفاته ومترجماته ، كتاب المقالات
العشر في العين .

اشهر النقلة

ثابت بن قرة : حياته ، شهرته ، مؤلفاته .
يجي بن عدي : حياته ، مصنفاته .
قسطا بن لوقا : حياته ، اتاجه .

الاسكندرية ، زعماء المذهب الاسكندري ،
فيلون : حياته ، ملخص مذهبه .
افلوطين : حياته ، مذهبه ، تسرب المذهب
الاسكندري الى اليهودية والنصرانية .

منابع الفكر العربي

الاسباب التي دعت الى الترجمة

انصرف العرب في صدر الاسلام الى دين لا يرضون عنه بديلاً ، ينفقون العمر في درس القرآن ، ونقل الحديث ، واخبار الصحابة . واقتصرت الثقافة عندئذ على هذه الناحية الضيقة من حياة الفكر . ورأوا انفسهم ليسوا بحاجة الى ما أثر عن الاغريق والفرس ، فلم يعنوا بما عثروا عليه من الكتب الفلسفية والعلمية والطبيعية اعتقاداً منهم « ان الاسلام يهدم ما قبله » و « لا ينبغي ان يُتلى غير القرآن » . ولكن التعصب القبلي عاد الى الظهور بشكل الاحزاب في العصر الاموي ، وعاد الادب الى البروز في صور جديدة ومواضيع حديثة . وانتهى عهد الفتوح ، ودخلت الامم الغريبة دائرة الاسلام ، وتعلم العربية الكثيرون من الاعاجم ، كما ان قسماً من العرب المتحضرين الذين كانوا على اتصال قديم بفارس وبيزنطية ، يجيدون لغة اجنبية الى جانب لغتهم القومية .

فبعد ان كان الخلفاء الامويون وعماهم في الامصار ينظرون

الى كل علم نظرة الريبة والحذر ، اصبحت الحضارة العباسية ممثلة لجميع الحضارات التي عرفها العالم القديم ، وغدت بغداد ، العاصمة السياسية ، عاصمة ثقافية يقصدها اشهر الاطباء والرياضيين والعلماء والمتفلسفين ، من كل قطر ، وكل لغة ، فيجد فيها كل واحد من هؤلاء سوقاً رائجة ، وذكرأ نابهاً ، ومالا وفيراً . وبعد ان استخار عمر بن عبدالعزيز الله اربعين يوماً ليضع بين ايدي المسلمين كتاباً طبياً منقولاً الى العربية يفيدون منه في اصلاح ابدانهم ، ومداواة علالهم ، نرى المأمون والواثق بعده يحاولان نقل المعرفة من الخاصة الى العامة ، لكي ينعم جميع الناس بخيراتها المادية والعقلية .

ولا شك ان اسباباً هامة ادّت الى هذه النُفَاة من المحافظة المغرقة في دينها الى التطرف المغرق في فلسفته . لا تقتصر على فئة من الفئات ، ولا نبع من المنابع ، وانما تتوزع وتتشعب حتى تكاد تشمل جميع الطبقات الشعبية والجنسية . فكان لطبيعة العمران والرقى ، وانتشار الامراض في المجالات الآهلة ، اثرٌ بين في هذا الانتقال ، كما كان للفرق الناشئة من خوارج وشيعة ومُرجئة ومعتزلة وسنة ، وللشعوبية بمظهرها النفعي والعلمي ، وللدين نفسه ، ولتشجيع الخلفاء والامراء ، وحياة الدعة ، اثرٌ فعالٌ لا تقل نتيجته المشمرة عن السبب الاول . كل ذلك

أدى الى نقل العربية من حيز قبلي او حضري محدود الى نطاق اتسع شيئاً فشيئاً حتى شمل الامم والشعوب العالمة والمتفلسفة . ولم يمر قرنان وبعض الثالث حتى تغلبت اللغة العربية بفضل هذه الاسباب على الفارسية واليونانية واللاتينية والقبطية والآرامية . واصبحت اداة للامة العربية ولهذه الشعوب في التعبير عن ادق المعاني المجردة ، والنتائج العلمية . واصبح الاجنبي لا يطبق التعبير بلغته الاصلية عما يريد . وليس ذلك تقرباً من اذواق اصحاب السلطان ، وسعياً وراء منفعة . وانما حفزهم استعدادها لتأدية الدقيق من المعاني ، والرفيع من الافكار . بله انها لغة الفاتح الذي تسنى له الانتشار في كل مكان .

فالترف يؤدي بالمرء الى طلب العلوم . وقديماً
طبيعة العمران
 قال ارسطو « على الانسان ان يشبع ثم يتفلسف » . فاذا انتشرت الدعة والترف ، وخذت روح الفروسية

١ قال ابو الريحان البيروني في كتابه « الصيدنة » : « وللى لسان العرب نقلت العلوم من اقطار العالم فازدانت وحلت في الاقنعة ، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والاوردة ... والهجو بالعربية احب الي من المدح بالفارسية . ويعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسية كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به ، اذ لا تصلح هذه اللغة الا للاخبار الكسروية والاممار الملية ... »

في الصدور . تنصرف القوى الكامنة في الافراد الى ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية . فيغرق بعضهم في المجون وينفقون الحياة في ارهاق حواسهم . وبعضهم يكب على العلم فتتجه القوى الخاصة اتجاهها خيراً ينتفع منه اصحابه والانسانيون جميعاً . كما حدث مثلاً لخالد بن يزيد الذي يئس من الخلافة فتحول الى الكيمياء . فقد فرغ الناس ايام العباسيين من الفتوح ، او فرغ اليها بعضهم ، وتحول الآخرون الى ملاح عديده منها الدرس والتنقيب والتأمل في الماديات والمجردات ، والمشاكل اللاهوتية والطبيعية ، والوقوف على اسرار العالم وغرائب الامصار والاقوام . والعلم زِيٌّ نقال يسري في جميع الطبقات . فقد ضاق العهد العباسي بالعلماء ، والمتعلمين والمترجمين والمنشئين . واستدعى تعقد الحياة الجديدة فنوناً وعلوماً لم تكن تعرف من قبل .

اقبلت الدنيا على العرب بعد جفاف ،

البطنة والادوية

فافرطوا في المطعم والمشرب والملذات ،

واسرفوا في كل ذلك اسرافاً كبيراً ، حتى اخذت اجسامهم بالتهدل والترهل ، ولا سيما بعد ان اقلوا من امتطاء الجياد والقيام باعمال الفروسية . ونوعوا على موائدهم الالوان ، واخذوا من

الفرس والروم والسكان الاصليين اكثر ما كُلمهم تعقيداً ، وغالوا في استعمال البهارات والمخللات والمقلبات والحلويات^١ . وانتشر داء المعدة انتشاراً مريعاً ، ولا سيما بين المترفين ، فيتداوون بالرجوع الى الصحراء ، بالاعتماد على اللبن ، والانقطاع عما تعقد من الطعام . غير ان هذا العلاج لم يكن شافياً تماماً ، فكثيرون من الخلفاء والأمراء ذهبوا ضحية معدهم . وانتشرت امراض اخرى ، تكثر في الحواضر الغاصة بالناس ، كالطاعون والحميات وامراض العيون . وكل ذلك يتطلب طباً منظماً ، ورجالا ينصرفون الى هذه المهنة انصرافاً كلياً . فاخذ العرب يعنون بالكتب الطبية ، ويستقدمون الاطباء من الامصار .

واشهر هؤلاء عبدُ الملك بنُ ابيجر الكِنَاني ، وكان طبيباً عالماً ماهراً اقام اول امره في الاسكندرية ، لانه كان يتولى التدريس فيها من بعد الاسكندرانيين ، ثم اسلم على يد عمر بن عبد العزيز

١ كان بعض الاعراب ينزعون عما تمهم عن رأسهم فيشدون بها بطونهم من الجوع (انما حظ : كتاب البغلاء ، ص ٣٤٢) . حاول عمر في اول عهد الاسلام ، وتبسط الناس في الحياة ، ناديب العرب . وذلك انه حين دُعي الى عرس ورأى قدراً صفراء ، واخرى حمراء ، واحدة مرة ، واخرى حلوة ، وواحدة محمضة ، كازها كلها في قدر عظيمة وقال : ان العرب اذا اكلت هذا قتل بعضها بعضاً (كتاب البغلاء ص ١١٧) .

قبل ان يصل الى الخلافة ، وصَحِبَه مِدَّة ، الى ان بُويع بالخلافة
فلحق بخدمته . وعرف العرب قبل عبد الملك بن ابي بكر الكِنَاني
طبيباً آخرَ هو ابن آثال النصراني من الاطباء المتميزين في دمشق ،
اصطفاه معاوية واحسن اليه . وكان كثير الافتقار له ، والاعتقاد
فيه ، والمحاذثة معه ، وكان خبيراً بالادوية ، ولاسيما بالسموم . وقد
وصف لمعاوية الكثير منها لاهلاك الخصوم ^١ . ومنهم خالد بن
يزيد بن معاوية ^٢ ، وهو بصير بالطب والكيمياء . وله رسائل تدل
على معرفته وبراعته .

واشتهر كثيرون من الاطباء قبل الاسلام وفي صدره ،
اغلبهم من السريان والروم . منهم اهرن بن اعين المعروف
بالقس ^٣ ، وقد وضع كتاشاً — مجموعاً طبياً — بالسريانية في ٣٠
مقالة ، وشمعون الراهب المعروف بطيبويه ، وسرجيس الراسعيني اول
من نقل كتب اليونان الى السريانية ، وسراييون ، ويوحنا ابنه ^٤ .

١ ابن ابي اصيبه ج ١ ص ١١٦ ، ١١٧ . غالى بعض المؤرخين
المتشبعين للعباسيين في نسبة مثل هذه الاعمال للخلفاء الامويين ولاسيما معاوية .
ولعل ابن ابي اصيبه قد تأثر باحد هؤلاء الرواة .

٢ القاضي صاعد : كتاب طبقات الامم ص ٤٧ ، ٤٨ .

٣ ملخص عن الاب لويس شيخو : آداب نصارى الجاهلية ج ٣ ،

ص ٣٦٤ ، وعن تاج العروس ج ٤ ص ٢٥٨ .

ولعل اشهر هؤلاء الاطباء ، واكثرهم اثراً ، في نقل الكتب الطبية الى العربية ، وقيام مدرسة خاصة في بغداد ، هو جورجيس بن بختيشوع^١ ، وابنه بختيشوع بن جورجيس ، ثم

١ خدم بصناعة الطب المنصور ، وكان عنده حظياً رفيع المنزلة . ونال منه اموالاً جزيلة ، ونقل له كتباً كثيرة عن اليونانيين الى اللسان العربي . ففي سنة ١٤٨ هـ مرض ابو جعفر المنصور وفسدت معدته ، وانقطعت شهيته . وكلما عاجله الاطباء ازداد سوءاً . فتقدم الى الربيع باث يجمع الاطباء لمشاورتهم . فاجمعوا على ان اشهر اهل العصر في الطب هو جورجيس رئيس اطباء جنديسابور ، فانفذ من يحضره . فجاء بعد ان اوصى ابنه بختيشوع بامر اليمارستان واموره التي تتعلق به هناك . فأعجب المنصور بمنظره ومنطقه ، وقد دعا له بالفارسية والعربية . فحدثه بعلته ، وكيف كان ابتداءها . واخذ يعالجه حتى رجع الى مزاجه الاول . فرح الخليفة به فرحاً شديداً ، وامر ان يجاب الى كل ما يسأل . وبقي الى جانبه مدة طويلة . وفي سنة ١٥١ هـ ارسل اليه المنصور ثلاث جوار روميات حسان مع ثلاثة آلاف دينار . فرد الجواري وابقى المال .

فلما اتصل الخبر بالمنصور احضره وقال له : « لم رددتهن ؟ » ... قال : « لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر ان تنتقل معي . وقد بقيت في جنديسابور ، ونحن معشر النصارى لا نتزوج باكثر من امرأة واحدة . وما دامت المرأة في الحياة لا نأخذ غيرها . » فحسن موقفه من الخليفة ، وامر من وقته ان يطبب نساءه ، وزاد موضعه في عينه ، وعظم محله . وفي سنة ١٥٢ هـ مرض جورجيس مرضاً شديداً . وكان الخليفة يرسل اليه في كل يوم الخدم حتى يعرف خبره . فاستأذن بالانصراف ، وعاد الى جنديسابور ، بعد ان ترك في بغداد تلميذه عيسى بن شهلانا (طبقات الاطباء ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٥) .

جبريل حفيد الاول ، وبختيشوع بن جبريل حفيد ابنه ، وجبرائيل ابن عبيد الله^١ . واكثر من تعاطى هذه المهنة من النصارى^٢ .

علم الفلك والرياضيات
لم تقتصر حاجتهم على الطب وحده . بل احوجهم امتداد

رقعة نفوذهم ، من الهند الى الاندلس ، وفرض الضرائب على الاراضي الزراعية ، وانشاء الطرقات والجسور والاقنية ، والاسفار في مختلف المناطق ، واعتقاد بعضهم ان حركات الافلاك تنبئ بالمقبلات من الحوادث العسكرية والانقلابات السياسية دفعهم كل ذلك الى تقريب العلماء من فلكيين ورياضيين ، لوضع الكتب في هذه العلوم والقيام بالاختبارات الدقيقة . وكان اول

١ راجع طبقات الاطباء ج ١ ص ١٢٥ وما بعدها .

٢ مما ثبت هذا القول ما رواه الجاحظ في كتاب البغلاء عن اسد ابن جاني ، وهو انه كان طيباً ، فاكسد مرة فقال له قائل : السنة وبئة ، والامراض فاشية ، وانت عالم ، ولك صبر وخدمة ، ولك بيان ومعرفة . فمن اين تؤتى هذا الكساد ؟ قال : اما واحدة فاني عندهم مسلم ، وقد اعتقد القوم قبل ان اتطب ، لا بل قبل ان اخلق ، ان المسلمين لا يفعلون في الطب . واسمي اسد ، وكان ينبغي ان يكون اسمي صليبا ومرايل ويوحنا ويبرا . وكنيتي ابو الحارث ، وكان ينبغي ان تكون « ابو عيسى ، وابو زكريا ، وابو ابراهيم » ، وعلي رداء قطن ابيض ، وكان ينبغي ان يكون رداء حرير اسود . ولفظي لفظ عربي ، وكان ينبغي ان تكون لفظي لغة اهل جنديسابور (الجاحظ : كتاب البغلاء ص ١٦٢) .

من عني بذلك الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور .
 ففي عام ١٥٦ هـ جاء رجل من الهند وافداً على المنصور
 ومعه مقالتان : الاولى في الرياضيات ، عربت فكان اثرها كبيراً
 ولا سيما في ادخال الارقام الهندية ، والثانية مقالة سدّهانتا الفلكية .
 فامر المنصور بترجمتها ، وان يؤلف منها كتاب يتخذه العرب
 اصلاً في حركات الكواكب . فتولى ذلك محمد بن ابراهيم
 الفزاري . وعمل منها كتاباً يسميه المنجمون بالسند هند الكبير ،
 كان عماد العلماء الى ايام الخليفة المأمون . فاختصره له ابو جعفر
 ابن موسى الخوارزمي ، وعمل منه زيجه المشهورة . وخالفه في
 التعاديل والميل . فجعل تعاديله على مذهب الفرس ، وميل
 الشمس فيه على مذهب بطليموس . فاستحسنه اهل ذلك الزمان
 من اصحاب السند هند . وطاروا به كل مطير . وما زال نافعاً
 عند اهل العناية بالتعديل الى زمان القاضي صاعد^١ .

افخبارات الشمسية
 وفي ايام المأمون وقف العلماء على
 كتاب المجسطي^٢ . وفهموا صورآلات

١ راجع القاضي صاعد : طبقات الامم ص ٤٩ ، اسماعيل مظهر : تاريخ
 تطور الفكر العربي ، المقتطف المجلد ٦٧ ج ١ .
 ٢ وضعه الفلكي المشهور بطليموس . يتعلق بعلم الهيئة والفلك وحركات

الرصد الموصوفة فيه . فجمع الخليفة العلماء من اقطار المملكة ، وامرهم ان يصنعوا مثلها ، وان يقيسوا بها الكواكب ، ويتعرفوا منها احوالها كما صنعه بطليموس ومن كان قبله . ففعلوا ذلك وتولوا الرصد بها في السامسية من ارض الشام سنة ٢١٤ هـ (٨١٩ م) . ووقفوا على زمن سنة الشمس الرصدية ومقدار ميلها ، وخروج مركزها وموضع اوجها . وعرفوا مع ذلك بعض احوال باقي الكواكب السيارة منها والثابتة . ثم قطع بهم عن استيفاء غرضهم موت الخليفة المأمون سنة ٢١٨ هـ (٨٢٣ م) ، ففقدوا ما انتهوا اليه وسموه « الرصد المأموني » . والذي تولى ذلك يحيى ابن ابي منصور كبير المنجمين في عصره ، وسواه من مشاهير العلماء . وكانت هذه اولى عمليات الارصاد في المملكة العربية . واخذ خالد بن عبد الله المنجم ارتفاع القطب للمأمون ايضاً بيرة ديار ربيعة . فوجد مقدار درجة من الفلك ستة وخمسين

النجوم . ويتألف من ثلاث عشرة مقالة منها : في المقدمات مثل البرهان على كروية السماء والارض ، وعلى ثبوت الارض في مركز العالم ، ثم ميل فلك البروج ، ومطالع درج البروج في الفلك المستقيم الخ (راجع ابن القفطي : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٦٨ - ٦٩ . قدري طوقان : ترات العرب العلمي ٥٧ - ٦٩) .

١ القاضي حاعد : كتاب طبقات الامم ص ٥٠ - ٥١ .

ميلاً من الارض . فضرب العدد في ثلاثمائة وستين - جملة درج
الفلك بمجموعه - فانتهى ذلك بأربعة وعشرين ألفاً ومائة وستين
ميلاً . وهو ما يعتقد المنجم انه دور كرة الارض المحيطة بالبر
والبحر .

سهلت الفرق حركة الترجمة ، وكانت حافزاً
شبه اساسي عليها . فالانقسام الذي بدأ أيام
علي ، وانضواء المسلمين من بعد تحت لواء الفرق ، وانضمام
الاعاجم اليها ، يحملون كل ما اشتهرت به امهم من مجادلات
لاهوتية ، وقضايا فلسفية دقيقة ، وانتشار الاسلام في يثات
فارسية وشامية تميزت منذ القرن الرابع المسيحي بافتتانها
بالتخريج والتأويل واللف حول الكلمة الواحدة قرناً واکثر ،
كل ذلك أدى الى اكباب رجال الفرق على الكتب الأجنبية
ومطالعتها بانعام نظر لاستخراج ادلة يفيدون منها في محاوراتهم
اليومية . وكان من نتيجة هذا العنصر الدخيل أن انتقلت الفرق
الاسلامية في قليل من الوقت من حالة الى اخرى ، واصطبغت
بلون لم يقصد اليه احد من المؤسسين الاولين . فبعد ان كان
الخلاف قائماً بينها على امور سياسية بحث ، كموقف المسلمين

من اهل الخلاف والخلفاء الراشدين ، وحق علي في خلافة ابن عمه الرسول ، وفي الصفات التي يجب ان يتصف بها من يرتقي سدة الخلافة ، أياكون من اهل البيت ، ام يكون من المهاجرين ، ام من الانصار ؟ .. أياكون غريباً أصيلاً أم أعجمياً دخيلاً ؟ .. أكانت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان صادقة أم ان هؤلاء اغتصبوا حق غيرهم ؟ .. ما يكون موقف الجماعة من الامام الضال ؟ .. بعد ان كانت لا تعنى الا بمثل هذه المباحث ، وكلها ترمي الى مصلحة مادية لحزب من الأحزاب ، او لطبقة من الطبقات ، او لجنس من الاجناس ، اذا بالفرق تنتقل الى طور جديد لا يمت الى الاول بنسب . فتتشعب وتتعدد ، ويأخذ جدها بالدوران حول محور ديني لاهوتي كمصير مرتكب الكبائر في العالم الثاني ، وتحديد الايمان ، والحرية ، والجبرية ، وصفات الخالق ، وخلق القرآن وقدمه ، والجوهر وطبيعته ، والاسباب والمسببات ، وقدم العالم وحدثه . كل هذا حديث دخيل يتطلب علوماً جديدة لم يعثر عليها متفلسفو الفرق الا في كتب اهل الجدل من النساطرة واليعاقبة ، فترجمت لهم واستوحوا منها الادلة والبراهين في اثبات رأيهم وتدعيم بلدعهم .

ترجم بعض الاجانب ما لديهم من العلوم
ليشبعوا مذهبهم الشعبي تشفياً من العرب

الشعرية

فعمدوا الى كتبهم الادبية والعلمية يعربونها ليظهروا لاصحاب الامر في الاسلام انهم اهل حضارة وعلم تقصّر دونها علوم الجاهلية من عرافة وزجر وطب اولي . فان معظم اصحاب البدع في الاسلام واول من نقل اليه التعاليم الاجنبية هم الشعوبيون الذين يتعصبون للعنصرية الاعجمية على العربية ، او لدين آخر على الاسلام .

فالشعوبيون اذاً قسمان : بعضهم يبغض العرب لانّ هؤلاء استأثروا دونهم بالسلطة والثروة والمقام الرفيع . وآخرون يحاولون هدم الاسلام بعد ان اضعف اليهودية والنصرانية والمجوسية .

١ البدعة الاسلامية الاولى ادخلها رجل يهودي الاصل يسمى عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، اعتنق الاسلام ايام الخليفة عثمان بن عفان . طوّف في الحجاز فمر بالبصرة والكوفة ، ثم ذهب الى مصر ماراً بسورية . وانضم الى الغاضيين على الخليفة الراشدي . واذاع في مصر دعوة جديدة تشعبت فيما بعد ، وعرفت باسم السبائية . علم برجعة النبي وقال : ان لكل نبي وصياً وان وصي محمد هو علي بن ابي طالب . ولذلك يجب على كل مؤمن ان يسعى جهده لايصاله الى الخلافة . رافق علياً في حملته ضد الخوارج . وكان يقنسه وينسب اليه الربوبية . ويقول فيه ما يقول النصارى في المسيح . فنفاه الى المدائن واحرق جماعة من اتباعه . ولما قتل الامام علي زعم ابن سبأ ان المقتول لم يكن علياً ، وانما كان جدياً تصور للناس في صورته . وان علياً صعد الى السماء كما صعد اليها عيسى . وسينزل الى الدنيا وينقم من اعدائه .

فرأت هذه الفئة ان الشيع الجديدة والبدع الغريبة عن الدين ،
وتعاليم الفلاسفة تررع بذور الشك في ابنائه وتؤلبهم عليه بعد
ان تألبوا معه . وفي هذا حياة للديانات التي يدينون بها ،
ويتوارثونها اباً عن جد .

وبين هؤلاء الاجانب فئة اخرى قبلوا الاسلام ديناً والعربية
قومية ولكنهم لم يكونوا من المحاررين الذين ينالون المجد بمجد
السيف وعلى صهوات الجياد ، فطلبوا العلم تحقيقاً لرغبات الامة
الفتية ، وتقرباً من اذواق الامراء والخلفاء ، بعد ان رأوا بعضاً
من الخلفاء ينعمون على العلماء بالمقام الاول والثروة والمجد ، فكان
المأمون يعطي وزن ما يترجم له ذهباً .

١ عهد المأمون كان يوم الثلاثاء معداً للمناقشات الفقهية والمناظرات
الفلسفية والادبية . فكان الادباء والعلماء والفلاسفة يؤمون القصر في الصباح حيث
يقدم لهم الفطور . وما ان يصيبوا منه الكفاية حتى يدخلوا على الخليفة في
الايوان المخصص لتلك المناظرات التي كان يرأسها بنفسه . ولم تكن تنتهي
الا بعد صلاة العشاء . فيدخلون حجرة اخرى حيث تعد لهم الموائد لتناول
الطعام . فاذا ما فرغوا منها انصرفوا سبلهم . اما سائر ايام الاسبوع فكانت
مخصصة لمعالجة شؤون الدولة . (سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب
ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، ترجمة رياض رأفت مصر ١٩٣٨) .

لا بد لكل دين من اساس
 حاجة الدين الى الفلسفة

فلسفي يبني عليه اصوله ، لان
 المؤمن الاول يأخذه على علاقته دون انعام فكر ، ويطبق تعاليمه
 على نفسه دون ان يتساءل عن قيمة هذه التعاليم ومبلغها من
 الصحة . فان الدين يبدأ بالعاطفة ، ثم يأتي عهد العقل فلا يرى المؤمن
 في التعاليم الجديدة ما يوافقه ، ويحاول ان يؤول ، وان يقارن
 بين دين مبتدى ، ودين آخر نما وتشعب وانتشر ، ويحاول ان يتزع
 صفة المكانية او القومية ويرى فيه مذهباً عاماً يشمل الانسانية
 باجمعها .

فالدين بحاجة الى العلم في هذا الطور ، لكي يؤول ما خفي من
 تعاليمه ، وليناهض في سبيل حياته ، ويقف في وجه مناوئيه .
 فيأخذ اسلوب المنطق لمحاربة المنطق نفسه . وكلما قرب الدين من
 العلم او من مذهب منتشر زاد رسوخاً وانتشاراً . لذلك رأينا
 الغزالي الذي فهم هذه الحقيقة يتفقه بعلوم اليونان ويدرس اخبارهم
 ومذاهبهم ، حتى اذا شعر من نفسه بقوة عمد الى فلاسفة الاسلام
 والاقدمين يهدم آراءهم ويثبت ان الدين الاسلامي هو الحقيقة .
 فهو اذا قد اعتمد على المنطق العقلي للنضال في سبيل العاطفة
 الدينية . وليست نحلة السنية المتفلسفة التي تزعمها الاشعري سوى
 الدين الاسلامي الذي تقلد بسلاح الاشراقين ، ونزل لمحاربتهم بنفس

سلاحهم . وقد اغرم هؤلاء المتدينون المجادلون بحجج الفرق المسيحية التي سبقتهم ، ولا سيما الأدلة التي تتفق وما يذهبون اليه ، فسعوا يتلمسونها في الحلقات او ينقلونها عن الكتب ، او يتسقطونها من افواه رجال الدين . وكان في مسعاهم هذا حافز دفع المترجمين الى نقل اقوال الفلاسفة الى اللغة العربية .

تجميع الخلفاء
ساعد الخلفاء على نشر العلم . والناس على دين ملوكهم . فلا بد للامراء ومن يحيط بالخليفة

ان يقلدوه ويطلبوا العلم تقرباً منه . ولا بد للشعب الذي تعيش فيه طبقة عامة من ان يتأثر تأثراً عميقاً بالزعة الجديدة وان ينبغ فيه افراد يحملون شعلة العلم ساطعة ، لان التفكير والبحث اصبحا من الاغراض التي يسعى اليها في ذلك العصر . فبعد ان امضى عمر بن عبد العزيز اربعين ليلة يستخير الله لي طرح كتاباً طيباً بين ايدي الشعب ، نرى المأمون الخليفة العباسي ينفق الكثير من المال ، ويرسل البعثات في جمع الكتب ، ويشجع العلماء للقيام بالاختبارات ، ويصرف المترجمين لنقل العلوم على مختلف انواعها الى اللغة العربية . فيفد عليه العلماء والفلاسفة من كل قطر ، وتصبح بغداد في عهده محجة طلاب العلم وناشريه ، وترث العاصمة العباسية مدينة انطاكية ، بعد ان ورثت هذه مدينة الاسكندرية ، وينتقل اليها

اهل حران والرها وجنديسابور يعملون في دار الحكمة^١ .
وقد بلغ من شهرة المأمون في حب العلم ان نسب اليه المؤرخ
الفرنسي «نويل ده فرجه» رواية اوردها في كتابه «بلاد العرب»
تقول ان حرباً شبت بين المأمون والامبراطور البيزنطي تيوفيل
لأسباب تعود الى حب العلم . وذلك ان المأمون كان يحاول ان
يجمع في بلاطه نخبة من اشهر العلماء على اختلاف اجناسهم واديانهم ،
تاركاً لهم الحرية التامة في عقائدهم . وكان في بلاطه امير له
مولى بيزنطي اسره في احدى الغزوات ، يفاخر به وبعلمه .
فرغب الخليفة في ان يراه ويحاده ليتبين ما عنده من ذكاء
وعلم . وعندما مثل بين يديه وتبين سعة اطلاعه ، ودقة معرفته ،
سأله عن اسم استاذه ، فقال له انه يدعى ليون ، يعيش في
بيزنطية عيشة فاقة رغم شهرته . فكتب اليه الخليفة يستقدمه
ويعده بالثروة . ولكن العالم اليوناني لم يؤخذ بهرجة المجد ، فحمل
رسالة المأمون الى الامبراطور ، فمنعه هذا من الذهاب ، وخصه
بمرتب ، وعين له احدى الكنائس ليلقي فيها دروسه العامة . واعاد

١ تأسست «دار الحكمة» في عهد المأمون عام ٢١٧ (٨٣٢ م) وذلك
على طريقة المدارس النسطورية والزرادشتية . وجعل يحيى بن [ماسويه المتوفى
سنة ٢٤٣ (٨٥٧ م) فيها عليها .

راجع مظهر : تاريخ تطور الفكر العربي ، المقتطف مجلد ٦٧ ، ص ٣٦٠ .

الأمون الكرة ولكنه لم يتوصل الى نتيجة . وزاد تيوفيل في
اكرام العالم الرومي فغضب الخليفة واعلن الحرب على
البيزنطيين .

اجتمعت كل هذه الاسباب ، فكان من نتائجها المباشرة ان
انتقل الى اللغة العربية في قليل من الزمن كل ما امتازت به
العقول في مدارس اليونان والرومان ومصر والشام .

اشهر المترجمين

لا تعرف سنة ولادته بالضبط ، انما يذهب

حنين بن اسحق

بعضهم الى انه ولد سنة ١٩٤ هـ في

١٩٤ - ٢٦٠ هـ

الحيرة . كان ابوه صيرفياً نسطورياً . وقد

درس حنين الطب على يوحنا بن ماسويه^١ . وكان ابو زيد حنين بن

١ كانت ابو زكريا يحيى بن ماسويه طبيباً مقدماً عند الملوك ، عالماً
مصنفاً . خدم الأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، سريع البديهة . عبث ابن
حدوث النديم به يوماً بحضرة المتوكل ، فقال له ابن ماسويه : لو ان مكان ما
فيك من الجهل عقل ، ثم قسم على مائة خفساء ، لكانت كل واحدة منهن اعقل
من ارسطاليس . وله كثير من المؤلفات الطبية والفلسفية . (ابن النديم
٤١١ - ٤١٢) .

اسحق العبادي^١ كثير الاسئلة ، فضع منه استاذة وزجره قائلاً :
 « ما لاهل الحيرة والطب ، عليك بيع الفلوس في الطريق . » وذلك
 لان يوحنا كان يتعصب لاهل جنديسابور ، ويظن ان العلم
 وقف عليهم دون سواهم . فسافر الى بلاد الروم حيث درس اللغة
 اليونانية بعد ان تفقه باللغة العربية على الخليل بن احمد ، فاصبح
 يجيد اربع لغات : السريانية والفارسية والعربية واليونانية . وانضم
 بعد دخوله بغداد الى العصابة التي فيها المأمون في عهد خلافته
 لترجمة الكتب ، ودعاها بدار الحكمة^٢ وكان ينقح لغة المترجمين

١ العبادي : نسبة الى عباد الحيرة ، وهم عدة بطون من قبائل عربية
 شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى ينسب اليهم خلق كثير ، منهم عدي بن
 زيد العبادي ، الشاعر المشهور ، وغيره . والعرب تسمي كل من دان للملك
 عابداً له ، ومن ذلك قبل لاهل الحيرة العباد ، لانهم كانوا اهل طاعة
 ملوك العجم . (ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٢) . يقول
 القفطي انهم انفردوا عن الناس في قصور ابتنووها لانفسهم بظاهر الحيرة .
 ص ١١٩ . وهناك رأي آخر في العباديين اورده ابن العبري يقول فيه ان العباد
 هم قوم من نصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وانفردوا عن الناس في
 قصور ابتنووها بظاهر الحيرة وتسموا بالعباد لانهم يعبدون الله . واسم
 « عبادي » في الشعر القديم يعني النصراني . قال الاخطل : « حتى اجتلاها
 عبادي بدينار » يريد بذلك نفسه . (راجع ابن العبري : تاريخ مختصر
 الدول ، طبعة الاباء اليسوعيين ١٨٩٠ ، ص ٢٥٠) .

٢ لما انتشر ذكر حنين بين الاطباء امر الخليفة باحضاره ، واقطعه

لأنه أفصحهم لغة . ترجم بعد ذلك للمعتصم والوائق والمتوكل .
واكثر نقوله لبني موسى . ورحل الى بلاد الروم في طلب
الكتب وتوفي عام ٢٦٠ هـ . عرف في حياته كثيراً من الاضطهاد ،
ولاسيما من الاطباء النصارى الذين كانوا يدسون عليه في
الخفاء ، فينسبون اليه التهم ، وينسب اليهم الخير ، حتى
أرغم على الانزواء . ذكر حنين بعض هذه الحوادث في رسالة
كتبها عن نفسه ، أشهرها حادثته مع بختيشوع بن جبريل ، عندما
وقع به عند الخليفة المتوكل . والواقع ان حينئذ عرف اياماً

الانقطاع الحسة ، ولكنه لم يكن ليجرؤ على التداري بما يصفه له من
الدواء دون مراجعة الاطباء الباقين ، خوفاً من ان يكون ملك الروم قد
ارسله اليه جاسوساً ، فيدس له السم في الدواء . فاراد في احد الايام اختباره
فأحضر له خمسين ألف درهم ، وطلب منه ان يصف له دواء يقتل به عدوياً ،
فرفض حنين ، وأصر الخليفة ، وأمر بحبسه في بعض القلاع ، وظل في سجنه
عاماً كاملاً ، ثم عاد الى تهديده . فلم ينزل على ارادته وذلك لامرئ :
الدين والصناعة . فر من الخليفة وأكرمه ، واحله من نفسه مكاناً رفيعاً ،
ووثق بما يصفه له . (ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٨) .

١ راجع ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ١٨٤ - ٢٠٠ . ابن النديم ص
٤٠٩ - ٤١٠ .

٢ ذلك ان بختيشوع صنع قوة عليها صرة العذراء ، وفي حجرها المسيح ،
والملائكة قد أحاطوا بها . وجعلها في غاية ما يكون من الحسن . فاستعسها
المتوكل ، وجعل بختيشوع يقبلها بين يديه مراراً كثيرة قائلاً : « ان كل

بانسة ، كما عرف اياماً ناعمة مترفة ، فاطمان الى عمله المشمر ،

النصارى يفعلون مثل هذا ، الا واحداً منهم هو حنين بن اسحق الكافر الزنديق . فامر الخليفة باحضار حنين . وقبل ان يصل الى المتوكل ذهب بختيشوع للقاءه قائلاً : « انه اهدي الى امير المؤمنين قونة ، قد عظم عجه بها ، فاستحسنها جداً . فاذا مدحناها بين يديه تولع بنا بها في كل وقت وقال : هذا ربكم وامه ، وعندما سألتني عنها قلت : يوجد امثالها في الحمامات والبيع ، وهذا ما لا نبالي به . قال : أليست هي عندك شي . ؟ قلت : لا . قال : فان تكن صادقاً فابصق عليها . فبصقت وخرجت من عنده وهو يضعك . فاذا سألك ما سألتني فافعل ما فعلته . » وجازت الخيلة على حنين . فامر الخليفة بحبسه . ثم امر باحضاره ، فضرب مائة سوط ، واعيد الى محبسه ، الى ان اغتال الخليفة ، واشتد مرضه ، ولم يقدر على شفاؤه الاطباء . فاستدعاه مستشفياً فبرى . (ابن ابي اصيبعة : ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٦) . غير ان ابن العبري يروي قصة اخرى شبيهة بهذه وان اختلفت في نتائجها ، تقول ان الطيفوري الكاتب النصراني كان يحسد حنيناً ويعاديه . واجتمعاً يوماً في دار بعض النصارى ببغداد ، وهناك صورة المسيح والتلاميذ وقنديل يشتعل بين يدي الصورة . فقال حنين لصاحب البيت : لم تضع الزيت ؟ فليس هذا المسيح ولا هؤلاء التلاميذ ، وانما هي صور . فقال الطيفوري : ان لم يستحقوا الاكرام فابصق عليهم . فبصق ، فاشهد عليه الطيفوري ، ورفع الى المتوكل ، فسأله اباحة الحكم عليه لديانة النصرانية ، فبعث الى الجائليق والاساقفة وسئلوا عن ذلك فاجبوا بحرم حنين . فحرم وقطع زناره . وانصرف حنين الى داره ومات من ليلته فجأة ، وقيل انه سقى نفسه سمًا . (ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٢) .

وترف عيشه ، وجمع المال الكثير ، وذاع اسمه على كل لسان .
طريقة ترجمته اجمع اكثر المؤرخين ان حيناً زعيم المترجمين ،
 لانه كان اكثرهم تعمقاً في اللغة العربية
 واللغات الاخرى ، ولاسيما اليونانية . وكان في الوقت ذاته من
 اشهر المفكرين والاطباء . اتخذه الاستاذ احمد امين في كتابه
 « ضحى الاسلام » مثالا للعالم الذي تتلاقى فيه الثقافتان العربية
 واليونانية ، وتمتزجان امتزاجاً منتجاً خصيباً . والواقع ان هذا
 الفهم الذي تميز به حين هو الذي اوصله الى ترعم حركة الترجمة ،
 وجعله يعمد الى طريقته المشهورة القائمة على الاصول الحديثة .
 كان للترجمة كما نقل العاملي عن الصفدي طريقتان :

١ روى ابن ابي اصيعة ان حيناً كان في كل يوم عند نزوله من
 الركوب يدخل الحمام ، فيصب عليه الماء ، ويخرج فيلثف في قطيفة ، ويشرب
 قدح شراب ، ويأكل كعكة ، ويتكى قليلاً ، وربما نام . ثم يقوم ويتبخر ،
 ويقدم له طعامه ، وهو فروج كبير مسمن ، قد طبخ زيرباجاً ، ورغيف
 وزنه مائتا درهم ، فيحسو من المرققة ويأكل الفروج والحبز وبنام . فاذا انتبه
 شرب اربعة ارطال شراباً عتيقاً . فاذا امتنع الفاكهة الرطبة اكل التفاح
 الشامي والسفرجل . وكان ذلك دأبه الى ان مات . (ابن خلكان : وفيات
 الاعيان ج ٥ ، ص ١٤١ - ١٤٢) .

٢ وبحت الجاحظ الطريقتين وعرض لهما في كثير من التفهم والدقة ، وافر
 بافضلية طريقة حين ، وان كان يرفض اساساً امكانية الترجمة . (راجع كتاب
 السننوبي عن الجاحظ ورسائله) .

أحدهما طريقة يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي ، وغيرهما ، وهو ان يُنظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية ، وما تدل عليه من المعنى ، فيثبتها المترجم ، وينتقل الى الثانية حتى يأتي على جملة ما يريد ترجمته . وهذه الطريقة رديئة ، لانه لا يوجد في العربية كلمات تقابل المفردات اليونانية . ولهذا ظل خلال الترجمة كثير من الالفاظ اليونانية على حاله . وينشأ الخطأ ايضاً من جهة استعمال المجازات ، وهي كثيرة في جميع اللغات . والطريقة الثانية في الترجمة هي طريقة حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما . وهو ان يأتي المترجم الجملة ، فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الثانية بجملة تطابقها ، سواء تساوت الالفاظ ام اختلفت . وهذه الطريقة أجود . ولهذا لم تحتج كتب حنين الى التنقيح .

اشهر تلامذته ابنه اسحق . كان اوجد عصره في
تلامذته
فن الطب ، ويلحق بابيه في النقل ، وفي معرفة
اللغات وفصاحته فيها . عني بترجمة كتب الحكمة اليونانية حتى
ان الذي يوجد من نقله عن ارسطاليس وغيره اكثر مما يوجد من
نقله لكتب الطب . خدم من الخلفاء والرؤساء من خدمه ابوه .
ثم انتقل الى القاسم بن عبيد الله وزير الخليفة المعتضد بالله .
واختص به حتى ان الوزير كان يطلعه على اسراره ، ويفضي اليه

بما يكتمه عن غيره . ولحقه الفالج في آخر عمره . وكانت وفاته في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٨ هـ^١ .

ومن مشهوري تلامذته ايضاً ابن اخته حبش بن الحسن الاعسم ، وكان نصرانياً . ينقل من السرياني الى العربي ، ويقدمه حنين ويعظمه ، ويرضى عن نقله . ثم عيسى بن يحيى بن ابراهيم ، وهو من الناقلين المجودين . وكثيراً ما ينقل حنين ما نقله حبش وعيسى وغيرهما^٢ .

الكتب التي ينسب تأليفها او ترجمتها الى مؤلفاته و ترجماته
حنين عديدة لا يمكن حصرها . وقد ألف بعضها نزولاً على رغبة الخليفة الواثق^٣ ، اشتهرها : كتاب احكام

١ ابن خلكان ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٢ .

٢ الفهرست ص ٤٠٣ .

٣ سار الخليفة الواثق على خطى المأمون ، فكان محباً للنظر في الامور العقلية ، مكرماً لاهل العلم ، مبغضاً للتقليد واهله . وكانت تدور مجادلات بين الفلاسفة والاطباء في حضرته ، فيشترك بنفسه في طرح الاسئلة ، وتوجيه المناقشة . ويقول المسعودي ان حنيناً ألف كثيراً من الكتب الطبية لشرح قضية طرحها الخليفة في هذه المجالس ، ورغب في تفصيلها . من ذلك ان الخليفة سأله في احدى تلك المناظرات ما اول آلات الغذاء من الانسان ؟ فقال : اول آلات الغذاء القم ، وفيه الاسنان . والاسنان اثنتان وثلاثون سنناً . منها في الاحوي الاعلى ست عشرة سنناً ، وفي اللحي الاسفل كذلك

الاعراب على مذهب اليونانيين ، كتاب المسائل في الطب
 للمتعلمين ، وزاد فيها حبش الاعسم تلميذه ، كتاب الاغذية ،
 ثلاث مقالات ، رسالة في علاج العين ، رسالة الاسنان واللثة ،
 رسالة اوجاع المعدة وعلاجها ، مقالتان ، كتاب في المد
 والجزر ، رسالة في السبب الذي صارت مياه البحر له مالحة ،
 رسالة المولود لثمانية اشهر ، رسالة الترياق ، رسالة في ذكر ما ترجم
 من الكتب ، مقالتان ، رسالة القرع وتوآده ، المقولات لارسطو ،
 كتاب السياسة لافلاطون ، والاخلاق لارسطو . واورد ابن
 النديم في فهرسته جدولاً مطولاً للكتب التي ترجمها حنين لجالينوس
 وما قام بنقله تلميذه حبش بن الاعسم .

من الكتب التي طبعت اخيراً
كتاب المقارنات العشر في العين
 لحنين « كتاب المقالات العشر

الخ . . . واخذ في تفصيل خصائص كل نوع من الاسنان . قال الوراق :
 احسنت فيما ذكرت من هذه الآلات فصنف لي كتاباً تذكر فيه جميع ما
 يحتاج الى معرفته من ذلك . فصنف له كتاباً جعله ثلاث مقالات ، يذكر
 فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل ، وآلات الجسد . وجاء ايضاً ان الوراق
 سأل حنيناً في هذا المجلس وفي غيره عن مسائل كثيرة ، وان حنيناً اجاب
 عنها وصنف في كل ذلك كتاباً ترجمه « بكتاب المسائل الطبيعية » ، يذكر
 فيه انواعاً من العلوم . (المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٣٠ - ٣٥)

١ ابن النديم : الفهرست ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

في العين». نشر الدكتور ماكس مايرهوف نصّه العربي مع الترجمة الانكليزية ، ومقدمة قيمة عن حنين بن اسحق ، اعتمد فيها على ما جاء في كتب مؤرخي العرب كابن النديم وابن ابي اصيبعة^١ . ولعل هذا الكتاب يمثل خير تمثيل الطريقة التي كان يتبعها حنين في نقل العلوم ، ولا سيما الطب ، الى العربية . فهو لا يتقيد بما يقوله جالينوس مثلاً ، وانما يستوعب كل معانيه ، ويضيف الى ذلك ما قرأه عن العلماء ، وما خبره بنفسه ، ويظهره بشكل يكاد يكون خاصاً . فهو اقرب الى التأليف والوضع منه الى الترجمة والنقل^٢ .

١ . القاهرة ١٩٢٨ ، المطبعة الاميرية .

٢ . في كتاب « طب العيون لقسطنطين الافريقي » المطبوع في كليات اسحاق الاسرائيلي سنة ١٥١٥ م ، تسع مقالات من كتاب حنين . وقسطنطين الافريقي كان عربياً من اهل قرطاجنة بجانب تونس . اخذ اسيراً ثم اعتق النصرانية ودخل في سلك الرهبنة في دير مونتي كسينو المشهور ، والتحق بلمرسة سلونو الطيبة . وهو اول من ترجم الكتب العربية الى اللغة اللاتينية . فاطلع اوروبا الغربية على علوم العرب . وكان يترجم كثيراً من كتبهم ، وينسبها الى نفسه ، كما فعل مثلاً بكتاب المقالات العشر في العين . وجعل عنوانه « كتاب قسطنطين الافريقي في طب العيون » ، واهداه الى تلميذه بروخا . ماكس مايرهوف : كتاب المقالات العشر في العين ص ٤١ .

ثابت بن قرّة هو ابو الحسن ثابت بن قرّة الحكيم الحراني الصابني^١ ولد في حران عام ٢٢١ هـ وتوفي يوم الخميس في ٢٦ من رجب سنة ٢٨٨ هـ الموافق لعام ٩٠١ م . اشتغل اول امره صيرفياً في مسقط رأسه ، ثم اختلف مع اهل مذهبه ، فرافعوه الى رئيسهم فانكر عليه

٢٢١ - ٢٨٨ هـ

١ الصابئة جماعة من الوثنيين كانت تنزل مدينة حران ، اشتهرت في الاسلام بالعلماء الذين ينتسبون اليها كتابت بن قرّة وابنه سنان ، والبتاني الفلكي ، وابي جعفر الخازن الرياضي ، وجابر بن حيان . حاول المأمون اضطهاد الصابئة في حران ، ثم عاد فعدل عن رأيه لما اشتهر به اهلها من العلم . وظهر فرع لها في مدينة بغداد ، انشأ ثابت بعد ان اختلف مع الحرانيين . وظل هذا الفرع الى ظهور الخليفة القاهر فحمل سنان بن ثابت على الاسلام ، واسلم معه بنو قومه . وفي عام ٤٢٤ هـ (١٠٣٣ م) لم يبق في حران الا هيكل واحد لعبادة القمر . وكان لهم فيما سبق هياكل كثيرة تسمى بهيكل العلة الاولى ، وهيكل العقل ، وهيكل الصورة ، وهيكل النفس ، وهي مستديرات الشكل ، وهياكل الكواكب والنيرين على اشكال مختلفة من التسديس والتثليث والتربيع . (راجع عن الصابئة : الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٧٦ ، (على هامش الفصل) . ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦) .

De Goeje : Mémoire posthume de Dozy contenant de nouveaux documents pour l'étude de la religion des Harraniens (Travaux de la 6^e session du Congrès International des Orientalistes, 1883, Leyde II, 291) . Al-Dimashaki : Cosmographie, éd. Mehren , Pétersbourg , 1866, p. 39 . Encyclopédie de l'Islam.

والحساب والهندسة والتنجيم والهيئة . وفاق سواه من الفلاسفة في ميله الى الاختبار والتجربة . فله ارصاد للشمس ، قولاها بيغداد ، وجمعها في كتاب يبين فيه مذهبه في سنة الشمس ، وما

فقال : مات القصاب الذي كان في هذا الدكان ؟ فقيل : اي والله ياسيدنا ، البارحة فجأة . فقال : ما مات ، خذوا بنا اليه . فعدل الناس وحملوه الى دار القصاب . فتقدم الى النساء بالامساك عن اللطم والصباح ، وامرهن بان يعملن مزورة ، واوما الى بعض غلمانه بان يضرب القصاب على كعبه بالعصا . وجعل يده في محبه . وما زال ذلك يضرب كعبه الى ان قال حسبك ، واستدعى قدحاً واخرج من شكة في كفه دواء فذافه في القدح بقليل من ماء ، وفتح فم القصاب وسقاه اياه ، فاساغه . ووقعت الصيحة والزعقة في الدار والشارع بان الطيب قد احيا الميت ، فتقدم ثابت بعلق الباب . وفتح القصاب عينيه ، واطعمه مزورة ، واجلسه ، وقعد عنده ساعة . فاذا باصحاب الخليفة قد جاؤوه بدعونه . فخرج معهم ، والدنيا قد انقلبت ، والعامه حوله يتعادون ، الى ان دخل دار الخلافة . ولما مثل بين يدي الخليفة قال له : يا ثابت ، ما هذه المسيحية التي بلغتنا عنك ؟ قال : يا مولاي ، كنت اجناز على هذا القصاب والحظه يشرح الكبد ويطرح عليها الملح ويأكلها ، فكنت استقدر فعله اولاً ، ثم قدرت ان سكتة ستلقه ، فصرت اراعيه . واذا علمت عاقبته ، انصرفت وركبت للسكة دواء استصعبه معي . فلما اجتزت اليوم ، وسمعت الصباح ، قلت : مات القصاب ؟ قالوا : نعم ، فجأة البارحة . فعلت انت السكة قد لحقه . قدخلت اليه ، ولم اجد له نبضاً ، فضربت كعبه الى ان عادت حركة نبضه ، وسقيته الدواء ففتح عينيه ، واطعمته مزورة . والليلة يأكل رغيفاً بدرّاج ، وفي غد يخرج من بيته . (راجع الففطي ص ٨٤ - ٨٥ . ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٢١٦ - ٢١٧) .

أدركه بالرصد في موضع أوجها ، ومقدار سنيها ، وكمية حركاتها ، وصورة تعديلها .

كان مجيد السريانية واليونانية . وقد عده سارطن من أعظم المترجمين ، وأعظم من عرف في مدرسة حران في العالم . حسب طول السنة النجمية ، فكانت أكثر من الحقيقة بنصف ثانية . واشتغل بالهندسة التحليلية ، واجاد فيها اجادة عظيمة . وله فيها ابتكارات لم يسبق اليها . ووضع كتاباً في الجبر بين فيه علاقة الجبر بالهندسة ، وكيفية الجمع بينهما .

لثابت عدد وافر من الكتب المترجمة والمؤلفة منها:

مؤلفاته

كتاب حساب الالهة ، رسالة في الشمس ، رسالة في استخراج المسائل الهندسية ، رسالة في الاعداد ، رسالة في الحجة المنسوبة الى سقراط ، رسالة في الحصى المتولد في المثانة ، مقالة في وجع المفاصل والنقرس ، رسالة في السبب الذي من اجله صارت مياه البحر مالحة ، رسالة في البياض الذي يظهر في البدن ، رسالة في الجدرى والحصبة ، رسالة في المسائل الهندسية ،

١ طوقان : تراث العرب العلمي ص ١٠٤ ، طبعة ١٩٤١ . ولهذا الكتاب

قيمة خاصة في اظهار الدور الذي قام به العرب في الحقل العلمي ، ولا سيما في الرياضيات والاختبار .

رسالة في المربع وقطره ، رسالة في الاعداد المتحابية ^١ ، رسالة في تركيب الافلاك ، رسالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية ، رسالة المولود لسبعة اشهر ، كتاب في الموسيقى ويشتمل على خمسة عشر فصلاً

هو من اهل المنطق في القرن الرابع الهجري **بجى بن عدى**

المجري . قرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي . انتهت اليه الرئاسة ومعرفة

العلوم الحكمية في وقته . يعتنق من النصرانية المذهب اليعقوبي . كان جيد المعرفة بالثقل ، سريع الخاطر ، يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة . روى ابن النديم قال : « قال لي يوماً ، وقد عاتبته على كثرة نسخه : من اي شيء تعجب ؟ أمن صبري ؟ وقد نسخت بخطي نسختين من تفسير الطبري ، وحملتهما

١ يكون العددين متحابين اذا كان مجموع الاعداد - ما عدا الواحد - التي تقسم ايأً منها يساوي الآخر . فيقال ان العددين ٢٢٠ و ٢٨٤ متحابان لان مجموع الاعداد التي تقسم ٢٢٠ وهي ١ و ٢ و ٤ و ٥ و ١٠ و ١١ و ٢٠ و ٢٢ و ٤٤ و ٥٥ و ١١٠ يساوي ٢٨٤ ، وكذلك قواسم العدد ٢٨٤ هي ١ و ٢ و ٤ و ٧١ و ١٤٢ ومجموعها يساوي ٢٢٠ . وقد اوجد ثابت قاعدة عامة لايجاد هذه الاعداد . (طوقان : المقنظ مجلد ٧٨ ، جز ٣ ص ٣٨) .

٢ راجع طبقات الاطباء ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، تراث العرب والعلي ، الفهرست

للملوك الاطراف ؟ وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ؟ ولعدي بنفسي واثا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة .»

توفي سنة ٣٦٤ هـ وامر ان يكتب على قبره :

رُبَّ مَيِّتٍ قَدْ صَارَ بِالْعِلْمِ حَيًّا وَ مَبْقَى قَدْ مَاتَ جَبَلًا وَ عِيًّا
فَاقْتُوا الْعِلْمَ كِي تَنَالُوا خُلُودًا لَا تَعْدُوا الْحَيَاةَ فِي الْجَمَلِ شَيْئًا

كتب رسالة استخدمتها الجماعة القائلة بان العباد هم

مؤلفاته

احرار في اعمالهم ، يستحقون عليها الثواب والعقاب ، لانها صادرة عنهم . وله مقالة في تفسير كتاب طويقا لارسطاليس ، ومقالة في البحوث الاربعة ، ومقالة في سياسة النفس ، ومقالة في صناعة المنطق وماهيتها . واكثر ترجمته او كلها عن السريانية . واشهر ما نقله قاطيغورياس والبويطيقا والجلد لارسطو ، والقوانين وتيماوس لافلاطون . ولم يقتصر انتاجه على التأليف والترجمة ، وانما قام باصلاح النقول القديمة ، فحقق الفاظها ومعانيها ، واخرجها باسلوب جديد صحيح يسهل فهمه على طلاب العلم

١ راجع ابن ابي اصبيعة ج ١ ص ٢٣٥ . الفهرست . اسماعيل مظهر :

تاريخ تطور الفكر العربي ، المقتطف مجلد ٦٧ ج ٣ .

قسطا بن لوقا

ينعتة القفطي «بالفيلسوف الشامي النصراني» .

والمعروف ان قسطا ولد في بعلبك ، وتعلم

الطب ، ثم رحل الى بلاد الروم ، فحصل من تصانيفهم الشيء

الكثير . واستدعي الى العراق ، ليترجم كتباً ، وينقلها من

اليونانية الى العربية . وقد عاصر يعقوب بن اسحق الكندي

والخليفة المقتدر بالله ، ولكنه لم يطل الاقامة في بغداد ،

فانتقل الى ارمينية واقام بها ، وتوفي هناك . وبني على

قبره قبة اكراماً له كاكرام قبور الملوك او اصحاب

الشرائع .

يجعله ابن النديم في درجة حنين ، بل يذهب

انتاجه

الى انه يجب ان يقدم عليه لفضله ونبله وتقديره

في صناعة الطب . كان حاذقاً بعلم العدد والهندسة والنجوم والمنطق

والعلوم الطبيعية ، ماهراً في صناعة الطب . ترعى النقلة لما اثر عنه

من عبارة حسنة صحيحة وعلم وافر . وزعم بعضهم ان وفاته

كانت حوالى عام ٩١٢ م .

اشهر انتاجه : رسالة في الدم ، رساله في البلغم ، كتاب

المرايا المحرقة ، كتاب الاوزان والمكاييل ، كتاب علة الموت فجأة ،

رسالة في اسباب الريح ، رسالة في المدخل الى المنطق ، كتاب

نوادير اليونانيين ، كتاب المدخل الى علم الهندسة ، كتاب

منابع الفكر العربي

تأثر الفكر العربي بالمدارس اليونانية جملة ، فلم يقتبس من مدرسة دون أخرى ، بل حاول ما حاولته الجماعات الاسكندرية والانطاكية والحرّانية والرهوية قبل من التوفيق والجمع والفهم .

والواقع انه سار على الخطة التي رسمتها هذه المدارس لنفسها ، وظل طابعها مسيطراً على الناحية المتعلقة بما وراء الطبيعة بنوع خاص طول عهد التفلسف العربي . ولكن ما العلاقة المباشرة بين العرب وبينها ؟ كيف كانت عليه حالة هذه المدارس ابان الفتح ، وابان الترجمة ؟ وما هي العلاقة التي كانت تربط هذه المدارس ببعضها ؟ وما قيمة التعليم الذي كانت تقدمه للطلاب ؟ كل هذه الاسئلة تسارع الى اذهان الدارسين ، فيحاولون الاجابة عليها بما يسعهم من الوضوح ، معتمدين في ذلك على

١ راجع الفهرست ص ٤١١ . ابن ابي اصيبعة : ج ١ ص ٢٤٤ . ابن خلكان : وفيات الاعيان . القفطي : ص ١٧٣ . قدري طوقان : تراث العرب العلمي ص ١٩٩ .

النصوص العربية نفسها ، وعلى المراجع السريانية والفرنجية . غير ان الجلاء يظل بعيداً عنها ، لان الغموض يكتنفها من كل جهة . فليس لدينا معلومات كافية عن حالة المدرسة الاسكندرية ابان الفتح ، بل ان احد المؤرخين ، عهد العباسيين ، يشير الى اسطورة تقول ان العرب عندما دخلوا الاسكندرية احرقوا مكتبتها الغنية . ولسنا الان في معرض الرد عليها ، فقد حقق المعاصرون التهمة ، وانتهوا الى ان العربي الفاتح لم يقترب هذا الجرم ، لان المكتبة كان قد اصابها الحريق والتلف من قبل . من المؤكد ان مدرسة الاسكندرية كانت لا تزال قائمة وقت الفتح . فكانت المدرسة اليونانية البحت الوحيدة في البلاد التي غزاها العرب في دفعتهم الاولى .

ويشير المسعودي الى انتقال التعليم من الاسكندرية ايام عمر بن عبد العزيز الى انطاكية ، ثم انتقاله الى حران ايام المتوكل ، وانتهاء ذلك ايام المعتضد الى قويري ، ويوحنا بن حيلان ، وابراهيم المروزي ، وابي بشر متى بن يونس^١ واشار ابن

١ راجع الدكتور ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص

٣٧ - ٣٨ من كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، ترجمة عبد الرحمن

بدوي ، مصر ١٩٤٠ .

٢ المسعودي : الاشراف والتنبيه ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، طبعة بغداد ١٩٣٨ .

ابي اصيعة الى هذه الرواية ، والى انتقال مدرسة الاسكندرية الى انطاكية عندما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ .

وهكذا يتجلى لنا ان مدرسة الاسكندرية لم تنتقل الى انطاكية الا بعد مضي ثمانين سنة تقريباً على الفتح الاسلامي . ولعل من اسباب ذلك الانتقال العزلة التي اصبحت فيها الاسكندرية بعد الفتح ، فقد فصلت عن بيزنطية بسبب حروب

١ ابن ابي اصيعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ج ١ ص ١١٦ ، طبعة ١٨٨٢ .

وما يثبت هذه الفكرة ما ذكره ابن ابي اصيعة عن نص للفارابي يتعلق بتاريخ الفلسفة اليونانية عامة ، وانتقالها الى الاسكندرية ، ثم تحولها الى بغداد ، اشار اليه ابو نصر ايضاً في احدى رسائله التهيدية لدراسة الفلسفة ، جاء فيه : « وبقيت الفلسفة في الاسكندرية بعد الاسلام بمدة طويلة ، عندئذ انتقل التعليم منها الى انطاكية ، وبقي بها زمناً طويلاً الى ان بقي معلم واحد فتعلم منه اثنان خرجا ومعها الكتب . فكان احدهما من اهل حران ، والاخر من اهل مرو ، فتعلم من الحراني اسرائيل الاسقف وقويري ، وتعلم من الثاني وجلان ، احدهما ابراهيم المروزي ، والاخر يوحنا بن حيلان ، فاخذ قويري بالتعليم ، وتشاغل يوحنا بن حيلان بدينه . وجاء ابراهيم المروزي ببغداد فاقام بها وعلم فيها ، ودرس عليه ابو بشر متى بن يونس ، وقد درس الفارابي على ابن حيلان وابي بشر . (ابن ابي اصيعة ج ٢ ص ١٣٥) .

البحر المستمرة^١، وقرب انطاكية من بلاد الروم وعاصمة الخلافة الاموية. ولم تنتقل الى حران الا في خلافة المتوكل (٢٣٢ هـ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ م - ٨٦١ م) فتكون قد بقيت في انطاكية ١٣٠ او ١٤٠ سنة تقريباً قبل ان تنتقل الى حران. واستمرت هنالك مدة اربعين سنة. وسبب انتقالها كان انتقال مقر الخلافة، وكون حران مركزاً مهماً للثقافة اليونانية، حتى ان آخر الخلفاء الامويين، وهو مروان الثاني، نقل مركز الخلافة احياناً مدة خلافته الى هذه المدينة^٢.

الاماكن التي ازدهرت فيها العلوم اليونانية في المدارس المنطقة التي تتكلم السريانية والفارسية هي الرها ونصيبين والمدائن وجنديسابور بالنسبة الى النسطوريين^٣، ثم انطاكية واميدا بالنسبة الى العقوبيين^٤ والى جانب هذا كانت

١ مايرهوف ص ٦٧ - ٦٨ .

٢ مايرهوف ص ٧٠ .

٣ العقوبيون او اليعاقبة شيعة نصرانية اقام اسسها يعقوب البرادعي في القرن السادس، قائلاً ان في المسيح طبيعة واحدة. وقد اضطهدتها الامبراطورية البيزنطية اضطهاداً عنيفاً، وشنت زعماءها واقتلت كنائسها لكي تجعل بين المسيحيين في الامبراطورية وحدة ايمانية. ولكنها لم تنجح في مهمتها، فزاد اتباعها تشبهاً بعقيدتهم. واتخذت هذه الشيعة من اللغة السريانية اداة في مناظراتها اللاهوتية وفي تدوين تاريخها. وبشرت بآرائها بين القبائل العربية، فانتشرت انتشاراً واسعاً.

هناك مدارس في الاديرة^١ .

وقد مثل النساطرة^٢ دوراً هاماً ايام الساسانيين ، ونقلوا بواسطة

في اطراف الجزيرة الشمالية ، فكان منها التغالبة والفساسنة ، وكثير من القبائل الضاربة بين اعالي نجد ومشارف الشام . وكأنتا بجاعة اليعاقبة حاولت بتكتلها وانكماشها على نفسها ، وانصرافها عن اللغة اليونانية في أدها ، ان تؤلف لنفسها كياناً مستقلاً يرمز انزعجتها التحريرية من سيطرة بيزنطية .

١ مايرهوف ص ٥٣ .

٢ هم اتباع نسطوربوس . وكانت راهباً سورياً ، ترقى في السلك الكهنوتي حتى اصبح عام ٤٢٨ م بطريركاً على القسطنطينية . وكان متوقفاً للذكاء ، ورعاً ، حارب بطلاقة لسان وفصاحة بيان مذهب آريوس . وقد جهز نسطوربوس بمذهبه القائل ان في المسيح اقنومين ، وان مريم ليست عذراء ولا تسمى والدة الاله ، وان الروح القدس منبثق من الاب فقط .

وعند نشر هذا الرأي اجتمع زعماء المسيحيين وخلعوه عن كرسبه . وسمح له ان يلتجئ الى دير بالقرب من انطاكية . وعرضاً عن ان يستكين الى الراحة ، انصرف هناك الى نشر دعوته . فارغم الامبراطور على نفسه الى شبه جزيرة العرب ، ثم الى مصر العليا . فوافاه اجله وهو في الطريق الى منفاه الجديد .

كان في الرها آنذاك مدرسة لاهوتية مشهورة . يتبع دروسها كثير من الطلاب لاشتهار معلمها بسعة المعرفة . والرها تقع على حدود الامبراطورية الرومانية الفارسية . لذلك كانت مركز اشعاع للنصرانية باتجاه العراق . وكان الفرس يدينون بالزندكية . غير ان الشعوب الخاضعة لهم كانت تدن بالنصرانية منذ زمن بعيد . وكان المعلمون الرهويون يدرسون تعاليم نسطوربوس ، وهي لا تتوافق المذهب الرسمي الذي تقول به القسطنطينية .

الفرس مذهبهم الى اليمن عندما فتحها القائد الفارسي وهرز عام ٥٩٧ م ، فدخلت النصرانية بلاد العرب بشكلها النسطوري ، ولاسيا في المناطق التي خضعت للنفوذ الفارسي ، اي شرقي الخط الممتد من اقصى الشرق في حضرموت الى تدمر . ونقل لنا التاريخ اسماء ست اسقفيات كانت على الشاطئ الشرقي .
والواقع ان الكنيسة العربية في جنوبي الجزيرة كانت نسطورية عند ظهور الدعوة الاسلامية . والكهنة الذين اتصلوا بالنبي ، على ما يروى ، ينتمون الى هذه الملة .

هي اهم المدارس الفلسفية ، والمنبع الذي استقى منه جميع الفلاسفة الذين ظهوروا على الاسكنورية

فاعلن الامبراطور زينون عام ٤٨٩ م اقفال مدرسة الرها ، وتشريد الاساتذة النسطوريين . وعندئذ حدث ما لم يكن منه بد : جعل الفرس هؤلاء الاساتذة تحت حمايتهم ، واهرقت دماء النصارى الذين لا يدينون بمذهبهم . واستقلت الكنيسة النسطورية الفارسية استقلالاً تاماً . وظهرت هذه الكنيسة قبل استقلالها نشاطاً كبيراً فوجهت الدعوة الى البلدان العربية ، والى الهند وآسية الوسطى والصين . وفي القرن السادس كان نصارى نسطوريون يقيمون في جزيرة سقطرة عند مدخل البحر الاحمر . وكثيروت من العرب كانوا ينتمون الى المذهب النسطوري بين القرن السادس والتاسع ، وقد تميزوا بمعاربتهم للصور والايقونات . (راجع : Pisanì : A travers l'Orient, p. 19.)

الشاطي، الشرقي من البحر المتوسط . فقد تجاوزت في حلقاتها
الدراسية مذاهب الاغريق القديمة والمستحدثة ، واقوال المصريين
والهنود ، وامتزجت النزعات المتناقضة المراوحة بين المادية الصِّرف
والروحانية المتعصبة . وتعاون المفكرون الذين برزوا فيها ، على
مختلف الادوار ، تعاوناً وثيقاً ، فزالت الفوارق التي تميز بينهم ،
واصبحوا كأنهم يمثلون مذهباً واحداً . فالاكادميون يعلمون
مذهب الرواقين والرواقيون يعلمون مبادئ الاكادميين .

والواقع ان الفكرة الاغريقية تسربت الى الاسكندرية اثر
الاسكندر الكبير . فصادفت في مصر عالماً جديداً ما تعرفت
اليه فيما مضى . وأفادت من التعاليم الشرقية المنتشرة آنذاك ،
ومن التعاليم الخاصة التي كان يتوارثها كهان الفراعنة عن اسلافهم ،
وغدت منذ ذلك الحين ملتقى جميع المفكرين . والمتعلمين ،
والشيع والنحل الشرقية والغربية ، القديمة والحديثة ، من عهد
الكلدانيين الى المقدونيين المعاصرين . سهلت الحياة للجميع بما
كانوا ينعمون به من الحرية المطلقة في عاداتهم ، وعقائدهم
وآرائهم . يتعبد كل منهم الى آلهته ، ويحافظ على تقاليده الخاصة ،
ويعيش الى جانب جاره له يخالفه في كل مظهر من مظاهر الحياة
الاجتماعية والفكرية ، دون ان يكون بينها تنافر او تناحر ،
وأنما هناك حرية لا حد لها ، وتساهل لا يُقيدده شرع حكومي .

فشيئت المذابح لكل الالهة ، وقلم المعلمون يتادون بكل
 للنظريات . وقد تألف من هذا التجاور والتفاهم مذاهب تقول
 بالتوفيق والجمع ، ادت حوالى القرن الاول للمسيح الى ظهور
 مدرسة « الافلاطونية الحديثة » او « المذهب الاسكندري » ، وهي
 المدرسة التي طبعت الفكر العربي بطابعه الخاص ، ولاسيما الجماعة
 التي يطلق عليها اسم « المدرسة الاشراقية » .

فيلون : ولد سنة ٤٠ ق م . -

زعيم المذهب الاسكندري

ويقول بعضهم سنة ٢٥ - من

اسرة يهودية نبيلة في مدينة الاسكندرية ، وتوفي سنة ٥٠ ب م .
 كان كثير النفوذ بين ابناء طائفته ، واسع الاطلاع ، ذافكرة
 ثاقبة ، عرف وتميز بانه من اشهر شراح التوراة .

Prat : Histoire de l'Eclectisme Alexandrin, T. I, p 1. ١

٢ اما القول باقتصار الفكر العربي على الاخذ من اليونانيين وخدم
 وباقتضائه الى التأمل الذاتي ، والاختبار الشخصي ، فهو قول لا يستند الى
 حقيقة تاريخية واقعية ، لان العرب لم يقفوا جهم على الناحية الاشراقية
 فعسب ، وانما انفقوا الكثير من العناء في تفهم اسرار المادة . فاكشفوا في
 علم الهيئة والطبيعات والكيمياء والطب قوانين دقيقة اعترف بصحتها العلم
 الحديث . غير ان هذه النواحي المشرقة من تاريخ الفكر العربي لا تزال
 الى الان تحت ركام من الغموض والتشتت . وربما قبض لها في المستقبل جماعات
 علمية رصينة منظمة تظهرها الى الوجود .

سافر في آخر حياته مع الوفد اليهودي الذي ذهب الى روما ليتظلم امام الامبراطور من معاملة الحاكم الروماني لليهود الاسكندرية .

مذهبه : كان يؤمن بالوحي حسب ما جاءت به التوراة ، كما كان يؤمن بتعاليم الفلسفة اليونانية . وله الفضل الاكبر في الانتقال بالديانة اليهودية من طور تمسكها بالمظاهر الدينية القديمة ، وتشبثها بالتأويلات الموروثة ، الى طور العهد الجديد ، عهد التأويلات العقلية العاطفية القائمة على مبادئ المدارس الفلسفية المختلفة ، والتزعات اللاهوتية المتباينة . من اهم آرائه ، او اذا شئت قل من الاسس التي اتخذها لحياته العقلية ، تقريب الديانة اليهودية من العقل ، وتفهمها تفهما رمزياً على خلاف مذهب المحافظين . فهو يبتعد بوجود إله قادر يدير العالم بسلسلة من الوسطاء . وتتصل به النفس الفردية بالطريقة ذاتها . والواسطة — حسب رأيه — لا تحدد بماهيتها فقط ، بل بوظيفتها . فاذا ادركنا المهمة التي تقوم بها عرفنا ذاتها . وهي تنقسم الى مخلوقات جديدة مختلفة : الكلمة او العقل الذي يرى

١ كته شروح رمزية للعهد القديم . ترجم الاستاذ يوهه كتاباً منها الى الفرنسية عام ١٩٠٩ بعنوان : « الشرح الرمزي للشرائع المقدسة » .

٢ Voir : Recherches de Sciences Religieuses 1933, pp. 331-334.

فيه الخالق مثال الدالم ، وبواسطته يقوم بوظيفة الخلق .
ثم تأتي بعده سلسلة من القوى الخيية والخالقة والمداقبة
هي مجموعة الملائكة والشياطين المكلائين بتنفيذ الارادة الالهية .
وهذه الرسائط تتبعها النفس اذا ارادت الاتصال بالخالق .
ففي الاصل كان الواحد ، ولما تطور في ذاته وجد العقل
او الكلمة ، ثم تطور العقل فظهرت الروح . ثم حدثت المادة
لتأليف العالم الحسي باتصالها بالصورة . وعلى هذه الاسس قام
المذهب الاسكندري .

افلوطين : ولد سنة ٢٠٥ م في اسيوط - ليكوبوبوليس -
وتوفي في « كامبانيا » من اعمال ايطاليا سنة ٢٧٠ .
درس في الاسكندرية على امونيوس^١ ، وتحزب له ، ودافع عن
نظرياته ، وساهم في حملة الامبراطور غورديان على فارس ،
لكي يتعرف عن كثب الى مذاهب هذه الامة وعالومها . وفي
عام ٢٤٥ نزل روما ولبث فيها حتى مات .

١ امونيوس السقاس كان اول عهده حمالاً . ولد من ابوين نصرانيين ،
ولكنه اعتنق الدين اليوناني القديم . هو اول المعلمين الذين حاولوا التوفيق
بين تعاليم افلاطون وارسطو . درس في الاسكندرية بين عامي ٢٣٢ و٢٤٢ م .
واوقف افلوطين - وكان لهذا من العمر ٢٨ سنة - على الفلسفة الحقيقية .
من تلامذته المبروفين افلوطين ، ولونجان و هيرينوس ، واوريجين .

ولعل لذهابه الى عاصمة الامبراطورية سبين : اتساع الافق العلمي والتبشيري ، واشتداد الخصومة عليه في الاسكندرية . وكانت العاصمة تضم عهدئذ اعنف من عرفتهم النصرانية من الاعداء .

لم يسمح اول عهده بحضور دروسه الا لمن يعتقد فيهم الكفاءة في الفهم والادراك ، وبينهم الامبراطور جولينوس ، وفوريغوريوس الصوري . وكان يطلب من مستمعيه ان يطرحوا عليه ما ير في خواطرهم من الاسئلة ، فتتعدد القضايا المعروضة والاجوبة . ويقوم الجدل في الحلقة ، وتختلط الابحاث القيمة بالمواضيع العادية النافهة . والح عليه طلابه بجمع آرائه في دراسات مكتوبة تسهل لهم المراجعة والتأمل .

وقد اثار في المجتمع الروماني ، ولاسيما عند المستمعين اليه ، ومنهم اعضاء المشيخة والقواد والحكام ، شعوراً عنيفاً بالعالم العقلي ، حتى ان احد النبلاء المشهورين اعتق جميع عبيده ، وتنازل عن املاكه وامتيازاته ، ليعتنق مذهب افلوطين الفلسفي ، ويتصل بالخالق بواسطة السكر الروحي .

نعم الفيلسوف الاسكندري في روما باحترام الناس اجمعين . فوكل اليه كثيرون ، قبيل وفاتهم ، امر تثقيف ابنائهم ، وادارة اموالهم ، كأنه وصي آلهي . وكان يتصرف في حياته العملية بنزاهة

انارت اعجاب عارفيه ، مما جعلهم يلهجون بالثناء عليه ، ويزدادون له حباً . يحكمونه فيما ينشب بينهم من خصومات ، فيحل ما تعقد من مشاكلهم بأكثر ما يمكن من الدراية والحكمة . وحل من قلب الامبراطور جولينوس محلاً رقيقاً ، حتى انه فكر في احد الايام ان يجعل من كامبانيا مدينة في ضواحي روما ، يقيم فيها الفلاسفة الذين يتولون بذهب افلاطون ، يطلق عليها اسم « مدينة افلاطون » .

اسمى بورفير — فوريغوريوس — مؤلفات استاذ « التاسوعات » بعد ان عدل اسلوبها ، ونقح ما فيها من الاخطاء اللغوية .

مذهبه : في عام ٢٥٣ قرر ان يكتب وينشر . وكان ينشئ بسرعة ، ولا يعود الى تنقيح ما يخطه ، بل يعهد بالامر الى امين سره وتلميذه بورفير . وهكذا ظهرت مجموعة « التاسوعات » التي نشرها بورفير في ست مجموعات . ويبدو ان هذه الرسائل تمثل بدقة تعاليم الاستاذ الشفوية ، دون ان تعرض لوحدة نظريته ، فتفصلها بترتيب منطقي . هي عبارة عن سلسلة من المحاضرات توضح نقاطاً خاصة ، منها قيمة علم النجوم والتنجيم ، وطريقة هبوط النفس الى الجسم واتحادها به ، ومشكلة الذاكرة في مختلف اصناف الارواح ابتداء من الروح

الانسانية الى روح العالم بأسره . اما الاسس التي ارتكز عليها مذهبه فهي :

١ - الواحد هو كل شيء . ولكننا لا نقدر ان نثبت انه

شيء من الاشياء ، او القول انه كائن او ذات او حياة . فهو ارفع من كل هذه . ليس فيه تجزؤ ولا تباین . وهو ايضاً الخير ، لانه يبطل لكل وجود وجوده ، ويؤلف الاقنوم الاول .

٢ - لماذا لم يبق « الواحد » وحيداً ؟ لماذا لم تنحصر

فيه الحقيقة منذ الازل والى الابد ؟ ذلك لان كل كائن كامل ، كالكائن الحي ابان النضج ، يصدر عنه شبيه له . وهو صدور لا شعوري ، ولا ارادي . ولكنه لا يتضمن عنصر الاضطرار والالزام ، لانه يعود الى فيضان الذات ، كما يحدث في نبع الماء المتدفق ، وفي النور المشع . فالكائن الحي والنبع والنور لا تخسر جميعاً شيئاً في انتشارها ، وتحفظ في ذاتها حقيقة وجودها .

٣ - يسعى المخلوق جهده للبقاء قرب خالقه . فلا يكاد يظهر

في الوجود حتى يعود الى التأمل بسببه .

٤ - اول مخلوق يحدث من هذا الصدور يشابه الخالق مشابة

كبيرة في كماله . ولكنه يبقى دونه . وهذا المخلوق الاول هو الكلمة او العقل . والعقل يوجد بدوره النفس الكلية . فالنفس هي الكلمة المنبثقة من العقل ، كما ان العقل هو كلمة الواحد .

٥ - كانت الروح الفردية في العالم الاعلى حيث تعرفت الى كل شيء ، ولكنها اتحدت بجسم ونفس ثانية سفلى ، فيجب ان نفك قيودها ، وان ننقذها من جميع المحسوسات . وعندما نفعل ذلك نفهم اسرار الطبيعة . واغرب ما في رأي افلوطين وجود روحين عند كل انسان : روح عاقلة تعطي الشخص قيمته الخلقية ، ولكنها ليست في الجسم ، ونقدر ان ترتفع الى المعقولات والى الحق المطلق بالانجذاب ، والنفس التي لا تفكر ، وانا نقتصر مهمتها على تحريك الجسم .

٦ - ذهب الى ان الجسم هو مدفن الروح ، والعالم الحسي كهف . ووجود الانسان على الارض حدث بعد جرم اقترفته الروح ، فجعل موضوع الفلسفة معرفة العالم العقلي . وتم هذه المعرفة بالانجذاب . قال بورفير : اني لم اتوصل الى هذه المرتبة الا مرة واحدة في حياتي عندما كنت في الثامنة والستين . اما افلوطين فكان اسعد حظاً منه ، اذ توصل اليها اربع مرات .

عمد اليهودي الذي اشتهر بمحافظته وتقليده الى التوراة يطالها باللغة اليونانية بعد ان

نسب المذهب الى كمنري

الى اليهودية والنصرانية

اهمل لغته القومية . يتفهم التوراة كما يتفهم اليوناني اشعار هوميروس . يؤولها تأويلاً شفوياً ، ويرى في خلق آدم انبشاق

العقل الكلي من الواحد ، وفي حواء الشعور والاحساس ،
وفي الحية اللذات الخداعة .

كانت هذه المدرسة شكاً جديداً اتخذه الفكر في المدرسة
الانتقائية الرومية . واصبح هذا الاختيار لا يقتصر فقط على
المذاهب الفلسفية ، وانما تعدى كل ذلك الى المذاهب الدينية ،
او بكلام آخر ، تألف مذهب اختياري جديد يشمل كل ما
يمكن ان يمر في خلد الانسان وضميره من امور علمية ودينية ،
واصبح مذهباً دينياً ثابتاً له دعائمه الخاصة واسراره الخاصة ،
ومعجزاته واحياناً شعوبته . كان له دور عظيم في تطور الفكر
في القسم الشرقي من البحر المتوسط . فهدم الصرح المحافظ
الذي حاصرت فيه الفكرة الاسرائيلية من الناحيتين : السياسية
والاجتماعية في عهد السدوسيين والمكابيين . واصبح عهد
الاسكندرية عهد انتصار كبير للجماعات المتطرفة المفرقة في
اغريقيا ، وما يتبع ذلك من علم وجدل ومنطق .

لم تكد تمر مدة من الزمن حتى اصبح اليهود الممثلين
الاولين للثقافة اليونانية ، يحضرونها في صدورهم ، ويشونها في
بيئاتهم . ونشأت بين رجال دينهم طبقة متطرفة في تحضرها
وعلمها . طلقت الاساليب القديمة ، وعكفت على شروح
فيلون ، تحاول ان تجد فيها حلاً للمسائل التي تعرض لها في

الدين والدنيا . وقد رافقت هذه الثورة الفكرية في الشرق
الادنى ظهور المسيحية وانتشارها في الحواضر السورية اولا ، ثم
في المقاطعات الرومانية الشرقية ، الى ان غزت روما قلب العالم
القديم وعاصمته السياسية . فلم يلتفت رجال المسيحية الاولون
الى هذا الجدل المجذب ، لان غايتهم المثلى لم تكن في مقدمة
ينظمونها ، او نتيجة يتوصلون اليها . وانما كان ايمان العامة
منهم عاطفياً عميقاً لا يعتمدون في اثباته على اصول البرهان
والقياس . وكان الهم الاكبر الذي انصرف اليه زعماء الكنيسة
في طورها الاول ، ولاسيما في القرنين الاولين ومستهل القرن
الثالث ، ان يدفعوا الاذى عن رعاياهم ، ويردوا كيد المضطهدين ،
ويوزعوا الرحمة والرافة على المؤمنين ، ويصقلوا عقيدتهم بما كانوا
يتلونه عليهم من الامثال الشعرية التي تدخل الى اعماق النفوس
بسهولة غريبة ، فينهمها الشيخ والعجوز والفتاة والفتى ويتذوقها
الجميع ، ويغرقون في تأمل نفساني عميق . ساعد ذلك كثيراً في
تحول عدد كبير من المحافظين في اليهودية عن عقيدتهم الاولى
الى الدين الجديد الذي راوه مكملاً لدينتهم .

ولكن الحالة هذه لم تدم طويلاً . فكان لانتشار المسيحية
السريع في جميع الاقطار والبيئات الوثنية المتأثرة بالمذاهب
القديمة ، ولاسيما الافلاطونية المستحدثة ، اثر بين في شرح العقيدة

وتفهمها . ولم تكد الامبراطورية الرومانية تحول دون مناهضتها ثم تمتنعها ديانة رسمية ، وتخرج من السرايب والمعابد الخفية حيث يعبق البخور والايان ، ويحيط بالعقيدة هالة من التقديس والتسليم العاطفي ، الى العالم الواسع ، الى الاندية والمجتمعات ، الى حلقات المتعلمين والمتفلسفين ، حتى اخذت النصرانية تستند في جدالها ومناقشاتها الى الاسلوب المنطقي اليوناني ، لان ممثلي الايمان العاطفي اصبحوا ، كما سنرى في الاسلام بعد ، اقلية بالنسبة الى من تنصر من الوثنيين .

ولم يلبث ان تجاوز هذا الاسلوب في القرون الرابع والخامس والسابع المسيحيين العلمانيين الى رجال الدين ، من كهنة واساقفة . فتعددت بينهم النزعات المتطرفة . واخذت الجامعات المقدسة تعقد لدرس المسائل الهامة وتقرير خطة حاسمة فيما يتعلق بالخصومات اللاهوتية . وكثرت البدع كالآريوسية والنساطرة واليهابقة . والجدير بالذكر اننا نعث في ذلك العهد على مؤلفات جمة تبحث العقيدة المسيحية بطريقة عقلية فلسفية . منها « الاعداد الانجيلي » لايوزب القيصري (٢٦٥ - ٣٤٠) ، حاول فيه ان يبين ان من الممكن اثبات اصول الدين بطريقة منطقية حسب الشروط التي وضعها الفكر اليوناني . وبعد ذلك بزمان قليل رأينا غوريهوروس النازيانزي (٣٣٠ - ٣٩٠) يسرف في الدفاع

عن العلوم التي تدرس في الحلقات العلمية . واستخدم ثاماسيوس (٤٠٠) اسقف حمص في كتابه عن « طبيعة الانسان » النظريات اليونانية دون ان يشير الى شيء من تعاليم النصرانية . طرق في بحثه هذا موضوعاً دقيقاً يتعلق بصلة النفس بالجسد ، وتسأل كيف يمكن هذين العنصرين المتناقضين ان يجتمعا ويؤلفا كائناً واحداً . وانتهى بدرسه الى ذكر نظرية نحلها امونيوس السقاس تشبه نظرية افلاطون ، تلخص بتشبيه النفس بنور عقلي يسبح فيه الجسد . وهذا مما يؤيد اصل النفس الالهي . وهي نظرية كانت تفرق بين المسيحيين واتباع الاغريق في ذلك العهد .

وظهر الاثر الاغريقي ايضاً باجلى وضوح في مؤلف للفيلسوف اونيوس من غزة (٥٠٠) عنوانه « تيوفراست » زى فيه حواراً طريفاً بين مسيحي شرقي ويوناني وثني حضر حديثاً من آثينا حاملاً في جعبته جميع تقاليد امته الفكرية . والغريب في الامر ان المسيحي يجيد استعمال سلاحه هذا كما يجيده اليوناني نفسه . فيثبت بالقياس والبرهان خلق العالم وفساده ، وحشر الاجسام بعد الحساب .

اهم مصادر الفصل

القاضي صاعد	طبقات الامم	بيروت ١٩١٢
ابن ابي اصيبعة	عيون الانباء في طبقات الاطباء ، جزآن	١٨٨٢
اسماعيل مظهر	تاريخ الفكر العربي	مصر ١٩٢٨
ابن القفطي	اخبار العلماء باخبار الحكماء	مصر ١٣٢٦ هـ
قدرى طوفان	تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك	مصر ١٩٤١
ابن فضل العمري	مسالك الابصار ، الجزء الاول	مصر ١٩٢٤
ابن النديم	الفهرست	مصر ١٣٤٨ هـ
ماكس ماير هوف	من الاسكندرية الى بغداد ، من كتاب « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » ترجمة عبد الرحمن بدوي	مصر ١٩٤٠

Robin : La Pensée grecque.

Brehier : Histoire de la philosophie.

» : La philosophie de Plotin, 1922.